مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب المجلد 14 العدد 1، 2017، ص ص 49- 75

فن المقالة عند محمد صبحي أبو غنيمة

أحلام واصف مسعد *

تاريخ الاستلام 2016/1/24 تاريخ القبول 2016/3/20

ملخص

يهدف هذا البحث إلى دراسة فن المقالة عند محمد صبحي أبو غنيمة، والكشف عن المرجعيات الثقافية والفكرية التي شكلت مضامينها، كما يقف على أنواعها ويتبين خصائصها وأبعادها الفنية والموضوعية، ومن ثم ينظر في الكيفية التي يبني بها الكاتب مقالته، حيث يلتزم خطة ثابتة في كتابة المقالة لا يكاد يحيد عنها. وتوقف البحث عند أهم السمات الموضوعية والفنية التي تميزت بها هذه المقالات. وقد اتخذت الباحثة من كتابه "من الأيام" الذي يضم اثنتين وأربعين مقالة نموذجا للدراسة، متبعة المنهج الوصفي التحليلي في قراءة المقالات وتحليلها.

ولد محمد صبحي أبو غنيمة في مطلع القرن الماضي "حوالي 1901" في إربد وتلقى تعليمه الأساسي فيها، ثم انتقل إلى مكتب عنبر في دمشق عام 1912، حيث برز نشاطه الأدبي والوطني، وفي صيف عام 1916 عاد إلى إربد لقضاء العطلة الصيفية، وانقطع عن الدراسة في مكتب عنبر بسبب ظروف الحرب العالمية الأولى، لكنه قرر وصديقه مصطفى وهبي التل مغادرتها قاصدَيْن إستنبول، وغادراها في 20-6- 1917، وصل أبو غنيمة إستنبول، والتحق بمدرسة الهندسة العليا فيها لمدة نصف عام، عاد بعدها إلى إربد، والتقى مجددا بصديقه عرار، ومرة أخرى عاد الاثنان إلى "عنبر"، لكن عودتهما شهدت قيام حركات طلابية شاركا فيها، فكان أن نقلتهما السلطات إلى المدرسة السلطانية في حلب حيث أنهيا تعليمهما فيها عام 1920[1].

وفي أواخر عام 1922 توجه إلى ألمانيا لدراسة الطب في جامعة برلين، حيث قضى فيها حوالي سبع سنوات كانت زاخرة بالنشاط العلمي والأدبي والسياسي. عاد بعد تخرجه أواخر عام 1928 إلى إربد حيث افتتح عيادته الخاصة، ثم انتقل إلى عمان ليفتتح عيادة هي الأولى من نوعها

© جميع الحقوق محفوظة لجمعية كليات الآداب في الجامعات الأعضاء في اتحاد الجامعات العربية 2017.

* مركز اللغات، جامعة اليرموك، إربد، الأردن.

في الأردن وجهزها بأحدث الأجهزة والمعدات في حفل كبير حضره الأمير"الملك عبد الله"، وولي عهده، وكبار أجهزة الإمارة حينذاك[2].

مارس أبو غنيمة السياسة إلى جانب الطب، وفي عيادته تشكلت مجموعة من النشطاء السياسيين الذين أسهموا في مواجهة الاستعمار البريطاني، والانتصار للقضايا القومية وأبرزها القضية الفلسطينية، والتصدي للخطر الصهيوني. ونتيجة لنشاطه السياسي ضيق عليه فاضطر إلى مغادرة الأردن إلى دمشق وأقام فيها حتى توفي في 1971/10/21، ودفن في تل إربد كما وصى:

إذا مت فادفني على التل كي ترى على سفحه روحي روائع سفحه[3]

تصفه هدى أبو غنيمة في سيرة منفية قائلة:

"كانت شخصيته مزيجا عجيبا من السياسي والأديب والطبيب، مارس الطب بعقل العالم ودقة ملاحظته، وروح الأديب الإنسان الذي أحب الناس فعالجهم بإحساسه وشفافيته قبل أن يعالجهم بمشرطه، ولم يكن ليبرز ذلك بتجهم أو عبوس، بل كان ذا روح مرحة، ونكتة لاذعة، ورؤية عميقة متميزة للحياة"[4]. وقد تجلت هذه الصفات في كتاباته. تحدث شفيق جبري عن ميزة "صبحي أبو غنيمة" على غيره من كتاب المقالة، من حيث قدرته على الجمع بين العلم والأدب، والأكثر أهمية من ذلك هو براعته في استنباط الصورة الحية من الظاهرة العلمية الجافة؛ " فالدكتور قد استخرج من العلم الذي أحاط به عِبرًا في الحياة أو صورا مختلفة تتصل بهذه الحياة على نحو ما يفعله الأدباء المحيطون بالعلم"[5] فتجده يفتتح المقالة بفكرة معرفية، لكنه لا يلبث أن يبث فيها الحياة مستنبطا منها صورة حية جذابة تعكس الواقع الاجتماعي والسياسي المعيش. وهي ميزة جذبت إليه جمهورا واسعا من القراء، حتى غدا واحدا من كتاب المقالة المحترفين والدائمين في الصحف السورية والعربية المشهورة، فقد كتب في جريدة "الأيام الدمشقية" لصاحبها نصوح بابيل سلسلة مقالات أسبوعية بعنوان "حديث الجمعة"، كما كتب سلسلة أخرى في جريدة العمل القومي بعنوان "حقائق مرة"، وكان يوقعها باسم مستعار هو نزار. ونشر مقالات في جريدة "المضحك المبكي" بعنوان "حديث الأسبوع" ناهيك عن عدد غير قليل من المقالات التي نشرها في صحف عديدة، منها جريدة " الجامعة العربية" و"ألف باء" الدمشقية، وجريدة "النصر"، ومجلة "الصياد"، وجريدة "العلم"... وغيرها من الصحف. ورصد هذه المقالات ومصدرها وتصنيفها يحتاج عملا مستقلا[6].

مصادره العلمية والأدبية:

إن التنوع المعرفي والمضموني في المقالة الواحدة عند "أبو غنيمة" هو الذي حفظ لها قيمتها الأدبية والفكرية حتى يومنا هذا، وهو ما جعله يقف في طليعة كتاب المقالة الصحفية، ليس في الأردن حسب، بل في المنطقة العربية، فمن الأمور التي تستوقف القارئ اعتماده الواضح على

مصادر علمية متخصصة في حقل الطب وعلم النفس؛ حيث كان لتخصصه في حقل الطب وأطروحته لشهادة الدكتوراه عن الجراح العربي أبي القاسم الزهراوي دور مهم في اطلاعه على التراث العربي وهو ما عبر عنه بقوله:

"وكان يحزنني ألا أسمع عن عباقرة قومي شيئا، فقد كان يُعتبر كل فضلهم بأنهم كانوا حراسا على التراث اليوناني، وأذكر أني جادلت يوما في هذا بما أسمعه من هنا وهناك، ولكن الأستاذ أفحمني بالكثير مما يعرفه، ولم يكتف بهذا بل سألني باستخفاف أمام رفاقي: ماذا يسمى الحارس إذا سرق شيئا مما اؤتمن عليه؟ وضحك رفاقي وخجلت أنا كثيرا كثيرا، وشعرت أني جرحت في كبريائي القومي، ومنذ ذلك اليوم بدأت أنقب في تراثنا القديم"[7].

ويعد كتابه "نظرة في أعماق الإنسان" الصادر عام 1958 مرجعا أساسيًا لكثير من مقالاته اليومية؛ فقد يقتبس أو يستعيد قصة أو حادثة أو معلومة علمية سبق له أن عرضها في كتابه هذا، ومن ثم يوظفها على نحو جديد في مقالاته. ففي مقالته "قصة الإسراء" يورد حادثة لغولنسكي يبرهن بها على كثير من الظواهر الميتافيزيقية التي عجز العلم الحديث عن تفسيرها، وكان قد أوردها في خاتمة فصل "في النفس" من كتابه المذكور[8]. وفي موضع من مقالته "فن الملقط" نجده يذكر كلمة شكسبير في الفراسة، وهي حادثة أشار إليها في كتابه" نظره في أعماق الإنسان" حين تحدث عن الحتمية الحياتية، ودور الخصائص النفسية والجسمية في تشخيص حالة الإنسان النفسية والمرضية[9]. فلا يكاد قارئ "من الأيام" أن يقف على قضية طبية أو نفسية أو حادثة إلا ويجد لها أصلا في كتابه " نظرة في أعماق الإنسان".

ومن خلال مراجعة قائمة المصادر والمراجع التي أدرجت في هذا الكتاب نستطيع الوقوف على المصادر العلمية التي استند إليها أبو غنيمة في كتاباته، حيث يورد فيه مئة وتسعة وخمسين مصدرا باللغة الألمانية معظمها في حقل علم النفس والطب، ومن أشهرها كتب: فرويد، ويونغ. وثمة تركيز كبير على القوى النفسية والأحلام ودورها في حياة البشر، ناهيك عن اقتباساته من مؤلفات كرتشمر، وزيبنتال، وشولزهنكه، وليك وآخرين يطول المقام بذكرهم[10].

أما عن مرجعياته في حقل الأدب، فإن استقراء المقالات والنصوص التي كتبها أبو غنيمة تظهر اطلاعه الواسع على الأدب العربي القديم، شعره ونثره، وكذلك على الأدب العربي الحديث ويبدو أنه كان على صلة بعدد من كبار الشعراء العرب آنذاك، وهو ما يتبدى من وصف "هدى أبو غنيمة" لمجالس والدها:

"يبدد حضور (صبحي أبو غنيمة) في روحي والمشع بالأنس، وحشة الكآبة وتقرقر نارجيلته ممتزجة بخرير المياه المتدفقة من بركة صغيرة في رفة البيت فتنثال من الذاكرة أحاديث الأمسيات الشعرية والفكرية والسياسية، مندية جفاف الروح، إذ كنت كثيرا ما أرهف سمعي لأحاديث الضيوف

الزائرين دون أن أعرف من هم، فأسمع أحاديث ممتعة وثرية وأعرف فيما بعد أن أحد المتحدثين كان عمر أبو ريشة أو شكري القوتلي، أو بدوي الجبل... أو شخصية مهمة من الأردن أو فلسطين أو لبنان أو مصر أو العراق، لكن أحلى تلك الأمسيات وأبعدها أثرًا في وجداني هي تلك التي كنت أصغي فيها لوالدي ووالدتي وهما يتذاكران في الشعر أو الأدب فقد كانت أمي سيدة مثقفة وأديبة، وإن لم تمارس الكتابة"[11].

يعد "أبو غنيمة" من طليعة كتاب القصة القصيرة في الأردن، فقد أصدر في عام 1922 مجموعته القصصية "أغاني الليل"، وهي وإن كانت لا تمثل القصة القصيرة بالمعنى الحقيقي إلا أن أهميتها تكمن في ريادتها، ولأنه " حقق بمقطوعاته جسر الاتصال بين قصص ما قبل الحرب وما بعدها... كما أنها مهدت لظهور القصة وانفصالها النهائي عن المقالة"[12].

ويبدو أنه كان على معرفة واضحة بالأدب الغربي، الألماني بخاصة، فقد ترجم عددا من نصوص الشاعر الألماني هاينرش هاينه الشعرية إلى العربية شعرا. كما كتب الشعر وإن لم يحترفه، حيث نجد له مجموعة قصائد موزعة في غير مصدر، منها ما نشرته هدى أبو غنيمة في "سيرة منفية"، وما أورده الناعوري في حديثه عنه وعن دوره في الحركة الشعرية في الأردن حيث قال: "كما أن له بضع قصائد ومقطوعات تنم عن شاعرية حقة، وكان يحب تعريف نفسه بـ "الطبيب الشاعر"، وله قصائد عديدة مشتركة مع عرار"[13].

وقد بدأ نشاطه الثقافي والأدبي أثناء دراسته في ألمانيا، حيث عمل بالتعاون مع مجموعة من الشباب على إصدار مجلة "الحمامة"، وهي مجلة علمية أدبية مصورة "تنقل ما يحدث في أوروبا من اختراعات فنية وعلمية وتصور الانقلابات الفكرية والأدبية، وتكون صلة بين الناشئة في الوطن وبين المغتربين"[14]؛ يقول في ذلك:

"فكان أن صدرت المجلة بشوق ورغبة، وآمال كبرى، الصديق كمال عياد منهمك قي ترجمة شبنغلر في "سقوط الغرب" وأنا انقل "تين" الإفرنسي"[15].

كما كان "أبو غنيمة" مولعا بالفنون فيقول: "لم أترك متحفا من متاحف البلاد التي زرتها في أوروبا بدون زيارة"[16] وهو ما أكسبه ثقافة فنية لا يخفى أثرها في مقالاته الأدبية.

- المقالة عند (أبو غنيمة):

يعرف الدوس هكسلي المقالة بأنها "أداة أدبية تقول كل شيء عن أي شيء"، ولا بدّ للمقالة برأيه أن تشتمل على:

- المنحى الشخصي ذات الطابع السيري

- المنحى الموضوعي: وفيه يركز الكاتب على موضوع أدبي، أوسياسي، أو علمي حيث يعرض الموضوع ويصل إلى نتيجة عامة من المادة التي يعرضها.
- المنحى التجريدي: وفيه يعالج الكاتب موضوعات ذات أبعاد تجريدية بعيدا عن الذات، أو عن الإطار الموضوعي الذي يعيش فيه.

ويرى هكسلي أن أفضل المقالات هي التي تجمع هذه المناحي الثلاثة معا في مقالة واحدة[17].

ومن يطلع على مقالات (أبو غنيمة) يتبين قدرته الفائقة على الجمع بين هذه المناحي في المقالة الواحدة، حيث كانت تعبر عن القضايا السياسية والاجتماعية بصورة تتسم بالوضوح والطرافة والجرأة، وتجمع بين الفكر والأدب والتاريخ والعلم، وهو ما جعلها تترك أثرا جميلا لدى قرائه. وقد جهدنا في تصنيف هذه المقالات وفق مضامينها، فارتأينا اعتماد الغاية المنشودة من المقالة مدخلا للتصنيف، الذي جاء على النحو الآتي:

1- المقالة التأملية:

وهي مقالة "تعرض لمشكلات الحياة والكون، والنفس الإنسانية، وتحاول أن تدرسها درسا لا يتقيد بمنهج الفلسفة ونظامها المنطقي الخاص، بل تكتفي بوجهة نظر الكاتب، وتفسيره الخاص للظواهر التي تحيط به"[18].

ومقالات "أبو غنيمة" في هذا الإطار تعرض مشكلات الحياة والإنسان من وجهة نظره الخاصة، وهي مقالات تبين عن فكر ثاقب وإحساس مرهف، وقدرة على استبطان الظواهر، واستنطاق الحكمة منها. كما في مقالته "تأدّب" و"أحلام العلماء" و"تأملات في يوم واحد".

ففي مقالته الموسومة بـ "تأدب" نجده يتحدث عن ظاهرة كونية تبين حجم كوكب الأرض ومكانته في هذا الكون الواسع:

"في المكان الذي يسمونه الكون والذي تشكل أرضنا نجما صغيرا من نجومه يؤكد العلماء رؤية ألف وخمسمائة مليون نجم ويسجلون بمراصدهم وحساباتهم أن هذا الرقم لا يشمل إلا سديما واحدا من سدم هذا الفضاء...هناك سدم تحتوي على ألفي مليون نجم! في هذا المكان الذي هو الكون يقرر أولئك العلماء أنفسهم وجود مليونين من هذه السدم! إذا ضربت هذه الملايين من السدم بآلاف الملايين من النجوم الموجودة فيها ظهر لك العدد الذي لا يحصى لمجموعة النجوم التي في الكون"[19].

فهو في هذه المقدمة يتحدث عن قضية علمية بحتة تبين حجم كوكب الأرض في هذا الكون الواسع، ثم يسترسل في تأكيد فكرة اتساع الكون على الرغم من كثرة النجوم فيه بلغة سهلة، محاولا تقريب المعلومة وتبسيطها من خلال ضرب المثل:

"هذا الكون هو من السعة والامتداد بحيث لا تشغل هذه الأرقام الفلكية من النجوم الفلكية إلا ما تشغله عشر نحلات موزعة على فضاء الأربع أنحاء من الكرة الأرضية"[20].

ثم ينتقل للحديث عن ضآلة وزن وصغر المساحة التي يشغلها الإنسان في هذا الكون، والتي لا تتجاوز المتر وبعض المتر ويزن جزءا من عشرة آلاف مليون مليون جزء من أي كوكب صغير فيه، لكنه يفاجئ القارئ في خاتمة المقال بالكلمة المفتاح التي تضيء النص كله، وتكشف الغاية منه، وذلك في عبارة واحدة موجزة تقول: "أيها الإنسان: تأدب!! "[21].

2- مقالة النقد الاجتماعي:

"وقوامها نقد العادات الناخرة والتقاليد البالية التي ترسبت في المجتمع، على مدى الدهور. ولا تعفي الأزياء الطارئة والبدع المستحدثة من سخريتها وعبثها"[22]، وكثيرا ما تستوقفه أخلاقيات المجتمع فيقف عندها مفسرا ومحاكما، وفي محاولة للإصلاح تجده يقارب ويقارن بينها وبين أخلاق الرجال في الماضي، أو بينها وبين أخلاق الغرب. كما في "نحو أمنية عذبة"، و"في مدينة الموتى،" و"عبد الغني في القمر".

فمقالته" الحياة صناعة "يبدؤها برسالة بعثها أحد أصدقائه يشكو له فيها مر الشكوى من تسريحة الطربوش التي اعتلت رأس إحدى قريباته، مما جعله يأسف على الحال التي وصلوا إليها، فيرد عليه ليطمئنه بأن هذا شأن الفنانين في تقلب أمزجتهم. ويسوق على ذلك عدة شواهد شعرية. ثم يختم جولته السريعة في الفلسفة والأدب ليصل إلى خاتمة المقالة هامسا في أذن صاحبه الشاكي:

"أيها الصديق العزيز: ليست تسريحة قريبتك هي البضاعة الأجنبية الوحيدة التي تكتسح أسواقنا وبيوتنا، وليس أنطون الحلاق هو المسيطر علينا بها، فهناك بضاعات لا بضاعة واحدة من عقائد ومذاهب وشعارات أجنبية تملأ أسواقنا وبيوتنا...ونفوسنا أيضا، وهذا ما أريد معالجته معك...واطمئن فسوف لا نخرج عن هذا الصدد؛ فالحياة نفسها صناعة ولكنها صناعة لا ترسم بالدراسات ولا تبحث في الجامعات، وإنما تستلهم من نفوس الأفراد وماضي الأمة، ولن أطيل عليك، فأقرب مثال هو أمتنا وشعوبها الكثيرة... إن بعضها ما زال يرزح بشكل من الأشكال تحت نير الاستعمار، وفي هذه الشعوب نفسها تروج البضاعات إياها، ويسيطر عمال هذا الاستعمار تارة باسم الحلاق، وتارة بألقاب فخمة كلقب ملك ورئيس وزعيم خطير على أذواقنا

ومقدراتنا...شعب واحد من شعوبنا هذه ازدرى بكل هذه السفاسف ونظر إلى صناعة الحياة من زاوية أخرى وهي تتسربل بالحكمة الذهبية "اطلب الموت توهب لك الحياة" و"صناعة الحياة هي قبل كل شيء صناعة الموت"[23].

ولا تكاد تخلو مقالة لـ "أبو غنيمة" من بحث في الجانب الأخلاقي للإنسان، كما في "علم الصالحين" و"درب السلطان" و"قرأت وحفظت ورأيت" و"فن الملقط" و"شكوى" وغيرها. وهو إذ يهتم بهذا الجانب تجده يقتنص الحادثة البسيطة لوصف وعلاج قضية أخلاقية غاية في الخطورة. في مقالته الموسومة بـ "الشكوى" يفتتحها برسالة تلقاها من صديق يشكو فيها نباح الكلاب الذي حرمه لذيذ النوم، ويطالبه بشن حملة صحفية للقضاء على الكلاب الشاردة، فإذا به يتحول ليكون نصيرا لتلك الكلاب:

"المطلوب في هذه الشكوى هو القضاء على الكلاب بحملة، ولكن بالله عليك ما الذي تصنعه هذه الحيوانات الضعيفة المسكينة لتستحق منا السم أو الرصاص؟ إنها تقلق الناس بنباحها وهذا صحيح، ولكن هذا النباح لا يختلف عن صراخ طفل جارنا الذي يقلقني طوال الليل، والطفل عندما يصرخ إنما يفعل ذلك إما عن جوع أو عطش وإما عن ألم، ونحن نعرف ذلك عنه، فلماذا نتجاهل ذلك في الحيوان المسكين ونطلب تسميمه في الحال؟!! هذا ظلم صارخ وأكثر منه ظلما هو نظرتنا البشعة إلى هذا المخلوق منذ الأزل فهي نظرة ليس فيها ذرة من الحق والعدل"[24].

ثم ينتقل ليكشف طبيعة كل من هذا الحيوان والإنسان من خلال قصة حقيقة وقعت في اليابان تظهر وفاء وصدق كلب قتل صاحبه في حادثة تدهور القطار ولم يعد، فبقي كلبه ينتظره في محطة القطار عشرة أعوام إلى أن نفق. ثم يعرض في المقابل قصة حقيقية يعرف شخوصها، ويكشف فيها نذالة وخيانة فتى كان قد أحسن إليه أحد الأثرياء فعلمه ورعاه وأنفق عليه بسخاء، حتى إذا ما اشتد ساعد الفتى وصار من أهل السلطة في البلاد، أصدر قانونا يجيز له ولمن معه الاستيلاء على أموال البعض وأملاكهم، وكان أول رجل طبق عليه هذا القرار هو السيد النبيل الذي أحسن إليه، فجرده من كل ما يملك. ثم يختم مقالته قائلا:

"من المقارنة بين هاتين الحادثتين تستطيع أن تدرك الكثير... ومن هاتين القصتين أيضا يمكن الحكم بأن صديقنا المحترم صاحب الشكوى لم يهدف في شكواه إلى الكلب الذي صرح عنه، بل أراد تنبيهنا إلى أمثال هذه الحوادث التي يعرف من أمثالها الكثير. وهدفه من ذلك أن يشير إلى أننا في بعض الأحيان نكون مدينين بالاعتذار إلى الكلاب من بعض الناس، ومنهم بعض أصحاب الألقاب الفخمة، فهؤلاء على الرغم من ألقابهم فإنهم لا يصلون إلى مرتبة الشرف التي يصل إليها وفاء الكلب"[25].

3- مقالة السيرة:

وفي هذا النوع من المقالات يسلط الضوء على جانب من الشخصية التي يتحدث عنها، ويقدمها من منظوره الخاص " فيعكس لنا تأثره بها وانطباعاته الخاصة عنها، ويحاول أن يخطط معالمها الإنسانية تخطيطا فنيا واضحا، معتمدا على التنسيق والاختيار"[26]. ومن أمثلة هذا النوع مقالة "أبو عثمان .. وقميص عثمان"، و"قبر صديقي"، و"الرمال التي تغني"، و"رأيتهم فلم أنسهم"، و"الدهر ثخيف"، و"طه الهاشمي: الفارس الذي ترجل".

ففي مقالته "الرمال التي تغني " يوقفنا عند العالم والرحالة والسياسي "فيلبي" مسلطا الضوء على ما جانب من شخصية هذا الرجل الذي يتمتع بحس عال بالمسؤولية يندر أن تجده عند الكثير:

"لقد كنت دون شك أمام طراز قل مثيله بين الرجال، ويكفي أن نصغي إلى وصفه للأهوال التي لقيها في حله وترحاله لتعلم كيف يدعوك هذا إلى احترامه وتقدير مزاياه، فلقد قضى أكبر مدة من حياته الطويلة في البراري والقفار محتملا شظف العيش وعناء السفر ومتاعب الحر والقر"[27].

ويروي لنا شيئا من عجائب أسفاره، وما قدمه من اكتشافات علمية لها قيمتها الكبرى في تاريخ الإنسانية، وهو إذ يعرض هذه الشخصية الإنجليزية يقارنها برجالات الأمة العربية متسائلا عما قدموه:

"وقد حدثته يوما عن فيلبي فأخبرني بأنه يعرف عنه الكثير وقال لي: يا دكتور إن فيلبي يعمل لوطنه قبل كل شيء، ويعد نفسه مسؤولا عن كل ما يحدث فيه، وأمثال هذا الرجل قلائل، لا في بلد واحد، بل في الدنيا بأسرها، ومن كانت هذه تصرفاته فهو جدير بالإجلال:

"ومن الحق أن نقول إن هذا الرجل نصب نفسه سفيرا لأمته، فكان السفير بلا سفارة، ومع ذلك فقد عمل لها ما لم يصنعه غيره من المسؤولين...إن شعوره بالمسؤولية هو شعور الرجل الذي يحاسب نفسه على الكبيرة والصغيرة. وقل لي الآن كم من الذين انتدبتهم الأمة العربية لتمثيلها صنعوا عشر معشار ما صنعه فيلبي لأمته؟!"[28].

4- مقالة الصورة الشخصية:

وفيها يكشف الكاتب عن جانب من حياته الشخصية، وعلاقته الحميمة بوالدته، ولكنه لا يصرح بذلك في بداية المقالة، فيوهم القارئ أنه بصدد سماع قصة واقعية لا صلة له بأحداثها، ويروي له حكاية أم مع ابنها المسافر الذي يبعث لها برسالة تفيض شوقا وحنينا ويختمها بقوله:

"آه يا أماه لو تعلمين كم أحن إليك وإلى أقراص السمن بالعجوة والكعك اللذيذ الذي تصنعينه بيديك الطيبتين، وإلى الكبة الممتازة التي حرمنا منها هنا وأصبحنا نعيش على الترمس"[29].

فما كان من الأم إلا أن قررت السفر برا إلى ابنها الغائب محملة بالكعك والكبة التي اشتهاها، وتعاني ما تعاني في طريق سفرها بعد أن تمت مصادرة ما كانت تحمله من الأطعمة. ولكنها تصر على استعادة ما أخذ منها. وكانت هذه المعاناة الطويلة سببا في إصابتها بداء الجنب. وشفيت الأم ورجعت إلى ريفها ولكن المرض لم يتركها فكان يعاودها من حين لآخر..وكان الذي عرف هذا بالتأكيد هو ابنها نفسه بعد أن أصبح طبيبا فكان يفحصها ويقول وهو يرفع السماعة عن ظهرها بحزن مشيرا إلى تلك الرحلة: ماما... لماذا جئت؟ وتجيبه هي أيضا...يا خبيث أما جئتك بالكعك والأقراص والكبة؟"[30].

وكعادته يدخر عنصر المفاجأة إلى خاتمة المقالة ليكتشف القارئ أن هذه الأم هي أم "أبو غنيمة" حين يقول: "هذه هي القصة، وكنت أضم أوراقها إلى بعضها لإرسالها للجريدة وقد لاحظت أن السطور الأخيرة منها قد محيت، وقد عرفت السبب الآن فقد كنت أنظر إليها ذاهلا ولم أشعر أن قطرات من دموعي كانت تتساقط على الكلمات، ولا تعجب من هذا أيها القارئ العزيز فقد كانت تلك الأم هي أمي!"[31].

5- المقالة السياسية:

تحمل الكثير من مقالات "أبو غنيمة" هما سياسيا وانشغالا قويا بقضايا الوطن والأمة، ومع ذلك تجدها لا تخلو من الطرافة وخفة الروح على الرغم من غلبة الهم السياسي عليها، إلا أنه لا يعرض هذه القضايا بصورة مباشرة، بل تجده يوظف الواقعة الحاضرة أو الطرفة الأدبية أو الحكاية البسيطة لإثبات الغرض السياسي الذي يتناوله. في مقالته "أبو عثمان وقميص عثمان" يقدم لها بترجمة بسيطة للشاعر (أبو سلمى) ومن ثم يعقب بذكر مجموعة من طرائف إسعاف النشاشيبي الذي كان متعلقا بامرأة يسأل عنها كل قادم رابطا هذه الطرائف بحكاية أبي نواس مع غانية تسمى جنان، وهو يريد بذلك تصوير حالة الانتهازيين الذين يدعون حب الوطن، وفي كل حين يرفعون شعارات وطنية تتناسب ومصالحهم الخاصة:

"كان يحب غانية تسمى جنان، من حكمان، وكان ينتظر قدوم المسافرين كل يوم ليسأل..لا عن جنان، بل للتمويه عن أبي عثمان، ولكن أمره كان مفضوحا، ولذا فإن الركب كان يعامله على قاعدة- اطلع من دول- فيقول له: دعك من عثمان وسل عن جنان يا ألعبان..هذه القصة يضعها صاحبها الخبيث أبو نواس بهذين البيتين:

اسأل القادمين من حكــمانِ كيف خلفتمُ أبا عثمـــانِ
فيقولون لي جنان كما سرَّكَ في حالهــا فســـل عن جنانِ

إن الانتهازيين الذين احتكروا الوطنية لأنفسهم فأتقنوا اللف والدوران للوصول إلى أهدافهم الصغيرة لا يختلفون عن أبي نواس إلا بفارق بسيط جدا:

أبو نواس قلق على أبي عثمان، وهم يبكون على قميص عثمان، وقميص عثمان هذا يختلف باختلاف الطقس والبورصة، فتارة يكون المثالية والقومية، وتارة يكون فلسطين، أو الجزائر أو شعب عمان الباسل"[32].

- بنية المقالة

على الرغم من وجاهة المادة الفكرية والمعرفية في هذه المقالات وقيمتها، إلا أن جانبا آخر لا يمكن إهماله يتعلق بطريقة تصميم المقالة عند " أبو غنيمة"، التي يعرفها والتر باتر بأنها: "ذلك التصور البنائي للموضوع الذي يرهص بالنهاية منذ البداية، ولا يرفع عينه عنها. وهو في أي جزء من الأجزاء، يلتفت إلى الأجزاء الأخرى، إلى أن تكشف العبارة الأخيرة عن كنه العبارة الأولى وتبرر وجودها دون أن تحس بأي فتور"[33].

لقد كان أحد أهم أسباب نجاح مقالات " أبو غنيمة" هو تلك الطريقة التي يعرض بها مادته العلمية والأدبية؛ ذلك أن فرقا بين العلم الذي هو معرفة العلة، وبين الأداء والمهنة التي هي فن معرفة الوسيلة. لقد تمكن أبو غنيمة بما يتمتع به من شخصية مثقفة، جمعت بين حدة ذكاء وخفة ظل، من جذب القارئ وإمتاعه حتى آخر كلمة في المقالة؛ تجده أحيانا يتحدث عن قضية فلسفية عميقة وحساسة جدا، أو نظرية علمية شديدة الاختصاص، إلا أن خفة روحه، وسلاسة لغته، وبساطة التركيب، تجعلها قريبة من القارئ فلا يشعر بثقل الجانب المعرفي فيها. وهو ما يدفعنا للوقوف عند طريقة بناء هذه المقالات بدءا بالعنوان ومن ثم العرض وانتهاء بالخاتمة.

1- العنوان:

لا يمكن إغفال أهمية فن المقالة وخطورة هذا النوع الأدبي من حيث تأثيره على الرأي العام، بوصفه وسيلة اتصال جماهيري وليس شخصيا،" المتلقي ليس شخصا أو عدة أشخاص أو حتى آلاف الأشخاص، وإنما جمهور حاشد قوامه ملايين المستمعين والمشاهدين والقراء، بحيث لا يتسنى للقائم بالاتصال أن يبلغ رسالته إليهم من خلال الاتصال المواجهي، ويتعامل القائم بالاتصال مع الجمهور باعتباره جماعات وليس أفرادًا كما هو الحال في الاتصال الشخصي"[34]. ويعد العنوان أشد المكونات خطرا في بناء المقالة باعتباره العتبة الأولى التي ستقف عليها جماهير غفيرة وغير

متجانسة ثقافيا واجتماعيا، ويقع على عاتق كاتب المقال أن يؤثر على متلقيه معرفيا ونفسيا وسلوكيا، وهو ما يجعل العنوان الشبكة التي يصطاد بها القارئ الذي سيعمل بدوره على تأويل العمل من خلاله، باعتبار أن العنوان "نتاج تفاعل علاماتي بين المرسل والعمل، أما المستقبل فإنه يدخل إلى العمل من بوابة العنوان متأولا له، وموظفا خلفيته المعرفية في استنطاق دواله الفقيرة عددا وقواعد تركيب وسياقا، وكثيرا ما كانت دلالية العمل هي ناتج تأويل عنوانه، أو يمكن اعتبارها كذلك دون إطلاق"[35].

ومن يطلع على مقالات "أبو غنيمة" يجد هذا التفاعل العلاماتي بين العنوان والنص المرسل، فأحيانا يأتي العنوان مختزلا المقالة في كلمة واحدة، هي خلاصة المقالة ومفتاحها؛ كما في"تأدب" و" شكوى" و"أم" و"مالاتسا" و"كوفاديس" لا شك أن كل مفردة تخلق لدى المتلقي توترا مرده تلك التعمية المقصودة من خلال تنكير اسم، أو توظيف لفظ، أو اسم علم أجنبي مجهول بالنسبة للقارئ العربي على الأقل. فكثير من مقالاته جاءت موسومة بأسماء غربية من مثل "أنا مع شبيلمان" و"دنيا فيتيناو" و"مالاتستا" و"أيام مع هوسرل" و"كوفاديس". وهو ما يوفر عنصر جذب في المقالة من جهة، ويوسع من أفق التوقع لدى المتلقي من جهة أخرى، مما يضمن تحقق عنصر المفاجأة في القراءة، ففي مقالة "شكوى" على سبيل المثال يظن القارئ أن الشكوى التي تدور حولها المقالة مردها الكلاب الضالة. لكنه يفاجأ في نهاية المقال بأن الشكوى الحقيقية والمقصودة تتعلق بالكلاب من البشر الذين لا يحفظون ودا ولا معروفا.

أما في "مالاتستا" فالكاتب يبدأ مقالة تدور حول محاضرة موضوعها "الموسيقى في خدمة السلام" حيث لاحظ الكاتب قلة عدد الحضور، على الرغم من أهمية الموضوع، وهنا تدور في رأسه قصتان يتمنى لو يستطيع نقلهما إلى المحاضر ليواسيه إذ لاحظ غياب الجمهور. فيأخذ بسرد حكاية عجائبية لرجل من كبار مفكري الطليان في القرن التاسع عشر، اسمه "مالاتستا" أدين لقدرته على تغيير أخلاق الرجال وإصلاحهم، وهو ما يستدعي توقف المحاكم عن العمل. فكان أن حوكم، وسجن، لكنه خرج بعد ذلك ليصير رمزا يضرب به المثل.

والأمر ذاته في "كوفاديس" وهي لفظة أجنبية يتبعها ترجمة لها في عنوان فرعي صغير "إلى أين" هذه اللفظة ستكون منطلقه في المقالة التي تحدث فيها عن أصل هذه الكلمة وسياقها المستخدم فيه، وهو ما قاده للحديث عن سلوك العباقرة، وأهل الهمم الذين شغلوا بالعمل حتى آخر ساعة في حياتهم. منهيا المقالة بمقارنة يعقدها بين هؤلاء الرواد من أهل الهمم الذين وهبوا حياتهم خدمة للوطن، وبين المجرمين من تجار الحروب والوطنية الذين استغلوا مناصبهم، وعملوا لمصالحهم الخاصة:

"إن هؤلاء هم جراثيم البشرية والأمم، وهؤلاء هم الضالون المضللون، وهؤلاء هم الذين يجب أن توجه إليهم كلمة السيد المسيح فلعلها أن تردعهم...إني لا أجد حرجا في أن أقف وإياك أمام هذا الثالوث من تجار الحرب، وتجار الوطنية، ومحترفي السياسة لنصرخ في وجههم القذر ونقول: أيها المجرمون!كوفاديس! كوفاديس! "[36].

وقد يأتي العنوان مركبا من كلمتين فقط كما في "علم الصالحين" أو "أيام زمان" أو "شلال أبو رسول" أو "فن الملقط" أو "إنسان الأسبرين" أو "درب السلطان" أو "دنيا فتيناو" أو "أحلام العلماء" أو "قصة الإسراء" أو "صديقنا الشيخ" أو "علم الفراسة". وقد يكون مركبًا من وصف وموصوف من مثل: "جندي مجهول" أو "حقائق مرة"، وعلى الرغم من أن العنوان، في المجموعة الأولى، جاء مركبا من مضاف ومضاف إليه، وهو ما يفترض أن يقدم تعريفا للقارئ، إلا أنه لا يستطيع أن يبتني في ذهنه تصورا واضحا لما هو مقدم عليه، خاصة أن بعض هذه التراكيب جاءت مجازية، وهو ما أتاح للكاتب الانتقال بسهولة من حقل إلى حقل؛ كما في "إنسان الأسبرين" و"درب السلطان". حيث يتنقل بقارئه من حقل إلى آخر بسلاسة، دون أن يشعره بالانقطاع أو بتطفل حقل على آخر.

أما العنوانات التي يفترض بها الوضوح من مثل "شلال أبو رسول" و"قصة الإسراء" و"علم الفراسة" فقد كان وضوحها سر جاذبيتها؛ إذ تدفع القارئ للبحث عن الجديد الذي سيقع عليه الكاتب في أمر مألوف ومعلوم لدى العامة؛ كما في مقالته "قصة الإسراء" حيث يتفاجأ المتلقي بهذا الربط العجيب لحادثة الإسراء بمواضيع ونظريات علمية ما زالت تبحث عن إجابات واضحة لها.

أما بقية المقالات فعنواناتها جاءت في أغلبها جملا اسمية، وهي جمل لا تخلو من الطرافة من مثل "الدهر ثخيف" و"أنا مع شبيلمان" و"أيام مع هوسرل" و"عبد الغني في القمر" ومثل هذه العنوانات لا تكشف للقارئ أية تفاصيل، مع أنها مقتبسة من النص نفسه؛ ولكنها تلقي بشباكها على القارئ الذي يجد نفسه مشدودًا إلى النص لفك شيفرة العنوان الذي يعد بالنسبة له خبرة جديدة لا عهد له بها، وهو ما يؤكد مقولة أن " العنوان الجيد هو أحسن سمسار للكتاب"[37]؛ في مقالة "أنا مع شبيلمان" يتناول الكاتب موضوعة الحب في الأدب والطب. ومن ثم يقص على القارئ حكايتين من وحي تجربته الخاصة؛ إحداهما مع رجل تعرف إليه اسمه مصطفى عبد الخالق، وهو مخلص شديد الوطنية، قاده حبه هذا إلى محاولة اغتيال "سعد زغلول"، والأخرى مع رجل ألماني، كان قد التقاه في أحد الفنادق، وهو فنان معروف يعد من نجوم السينما والمسرح، وكان قد صرح له بأنه يكره هتلر وموسوليني، على الرغم من الانتصارات التي حققاها

بسبب دكتاتوريتهما، لكنه اختار أن يعبر عن مقاومته لهما بطريقة مختلفة، وبعيدة عن القتل، لذلك يقول له:

"اسمع يا صديقي ! أنا أكره هؤلاء الناس أيا كانوا وأينما كانوا، ولا أكون جديرا بلقب إنسان إن لم أحاربهم بكل ما أملك من قوة"[38].

وانطلاقا من هاتين التجربتين جاءت الخاتمة متفقة مع عنوان المقالة.

"من حق أي إنسان أن يحب وطنه كما يريد وبقدر ما يريد، ولكن ليس له أبدا أن يصبح بهذا الحب مجرما! إن المثالية السامية في الحقد – نعم في الحقد، ليست هي التي أعلنت عن نفسها برصاصات مصطفى عبد الخالق ولكنها في الصمت والتصميم الذي سنراه عند صديقنا شبيلمان"[39] ثم يؤكد موقفه هذا إذ يقول:"أيها القارئ العزيز: بصراحة أنا مع شبيلمان"[40].

2- العرض:

وهو الجزء الأساسي في المقالة، الذي يحاول فيه الكاتب إقناع القارئ بفكرته من خلال عرض الأدلة والبيانات، ولكن دون إطالة تخل بطبيعة المقالة. وعادة ما يتكون جسم المقالة عند أبو غنيمة من عدة فقرات قد تطول أو تقصر حسب طبيعة القضية المطروحة. والطريف في مقالة "أبو غنيمة" أنه لا يدع قارئه يطمئن إلى فكرة تنتمي إلى حقل ما، حتى ينتقل به إلى فكرة جديدة في حقل آخر لا ينتمي إلى سابقه، وهو ما يجعل القارئ في حالة توتر تمنعه الملالة أو الركون إلى النتيجة الأولية قبل أن يفرغ الكاتب كل ما في جعبته في ذهن متلقيه. في مقالته الموسومة بـ "فن الملقط" مقدمة تعرف بالتنبكجي صاحب تعبير " فن الملقط":

"صاحب التعبير هو أبو سعيد... التنبكجي في مقهى الربوة وأنصح ألا تستخف به" فالحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها التقطها" وكل إنسان يفوقني بشيء يجب ان أتعلمه منه " وكل هذه القواعد الذهبية لها أساس علمي، فالمعرفة بحر...بل هي البحر الوحيد الذي لا نهاية له، وإنك وأنت على الشاطئ قد لا تقر هذا ولكنك إذا ركبت زورقا توغلت في البحر آمنت به، وسيزداد إيمانك كلما توغلت في لججه. وهناك وسط تلك الأنواء الصاخبة، إذا ما أحسست بالهول فسوف لا تستخف بأي صعلوك من الصيادين إذا ما أسرع لإنجادك وأنت حائر منهوك القوى"[41].

وأبو سعيد رجل بسيط يهيئ النرجيلة لزبائنه في المقهى وكان أحد أصدقاء "أبو غنيمة" قد نبهه إلى بعض ملامح هذا الرجل التي توحي بنباهته. ويجعل من ذلك التنبيه مدخلا للحديث عن علم الفراسة الذي يساعد المرء على معرفة دخائل الناس من خلال ملامحهم الخلقية مما يسهل على المرء بلوغ النجاح، ويعرض في سبيل ذلك آراء الأقدمين والمحدثين في هذا العلم، فيتوقف عند ابن عربي ومارتيني وكرتشمر. ثم يعود بالقارئ للحديث عن مهارة "أبو سعيد" الذي يبرهن

وبصورة عملية على صدق فراسة الصديق فيه؛ فنباهته واضحة في عمله في المقهى وإتقانه، وهو يعلم صبي القهوة كيف يلتقط الجمرة لإشعالها، لينتهي به المطاف إلى قضية أخلاقية اجتماعية هي في غاية الأهمية، وهي ضرورة إتقان العمل[42].

وهذا شأنه في كل مقالة تجده ينتقل من حقل إلى حقل بسلاسة فائقة لا تشعر القارئ بالانقطاع أو عدم الانسجام، لينتهي الى الخاتمة التي تضيء النص كله.

وفي مقالته درب السلطان، يبتدئ الحديث بتوضيح المعنى اللغوي لدرب السلطان:

"الدرب السلطاني هو عادة الدرب الممهد والمعبد"[43]. ثم ينتقل إلى علم النفس الفرويدي، حيث يوضح المعنى النفسي له "ودرب السلطان تعبير أطلقه فرويد على الأحلام، فالأحلام في رأيه هي أقصر طريق للوصول إلى النفس"[44].

ثم يتحول إلى الأدب موضحا معناه الاجتماعي الذي رسمه الشعراء من قبل:

"ولكن أصعب هذه الدروب في الحياة الاجتماعية هي درب الوصول إلى القلوب! هذا الدرب رسمه لنا الشعراء، فقال أحدهم: إن القلوب إذا تنافر ودها مثل الزجاجة كسرها لا يجبر.

لكنه يعود فيخطئ هذه المقولة ليؤكد أن هناك طريقا يمكن به جمع المتنافرات، وفي سبيل برهنة هذه النتيجة يلجأ إلى الرياضيات والكيمياء ليثبت بصورة علمية بحتة إمكانية الجمع بين المتنافرات:

"هذه العناصر قد يتنافر بعضها مع بعضها الآخر، ولكن لا يوجد عنصر واحد لا يمكن التأليف بينه وبين العنصر الذي ينفر منه بشرط أن يكون هناك الوسيط البارع، ويسمى في الكيمياء كاتاليزاتور"[45].

ومن ثم يختم مقالته بباب الأخلاق: "هذا الباب أرشدتنا إليه الأديان السماوية كلها، وبشر به الرسل الكرام جميعا. وقد عبر عنه القرآن الكريم بأجمل ألفاظ وأروع بيان فقال: "ادفع بالحسنة السيئة فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم"[46] فالإعجاز في الوصف وفي تقرير الواقع بكلمة" كأنه "ظاهر للعيان ولا يحتاج إلى وصف. ودفع السيئة بالحسنة هو أعظم شأنا من الإحسان المحض... وهذا هو الحق في سبيل الوصول إلى القلوب... إنه درب السلطان"[47].

إن هذا الانتقال من موضوع إلى آخر في العرض، الذي يكون مؤيدا بالبراهين والأدلة، يضمن التنوع المعرفي الممتع، الذي يحمل القارئ على التسليم والإيمان بفكرة الكاتب، إذ يشعر أنه في رحلة ممتعة يتزود فيها بالمعلومة الطريفة، والفكرة العميقة كلما تقدم في القراءة، دون إحساس بثقل المادة المعروضة، أو تزاحم الأدلة والبراهين المؤيدة لفكرة الكاتب.

3- الخاتمة:

لـ "أبو غنيمة" في بناء مقالته الصحفية خطة لا يخطئها، وطريقة لا يحيد عنها، إذ تمتاز خاتمة المقالة عنده بقدرتها على كسر أفق التوقع عند القارئ ومفاجأته على نحو طريف؛ فهو عادة ما يستهل المقالة بفكرة عامة أو حادثة أو قصة يقيم عليها بناء المقالة، ثم يعمل على مناقشتها وإثباتها من خلال الانتقال السريع من حقل معرفي إلى آخر. وهو ما يكسب قارئه متعة معرفية وجمالية تنأى به عن السأم أو الملالة، لكنها في الوقت نفسه تبقيه في حالة مستمرة من الترقب، والتفكر في النتيجة التي سيصل إليها، حتى إذا ما انتهى إلى الخاتمة يفاجئ قارئه بكلمة أو جملة تضيء النص كله، وتدفعه لإعادة ترتيب أفكاره، وتعديل تصوراته حول الموضوع برمته. كما في مقالته" نحو أمنية عذبة "حيث يبدأ حديثه بمقدمة علمية، يتحدث فيها عن الكشوفات العلمية وما أنجزه العلماء من اختراعات مكنت الإنسان من السيطرة على المادة سيطرة تامة، ومن ثم رغبتهم في السيطرة على الزمان كما سيطروا على المكان، في زمن أصبح المستحيل فيه ممكنا بسبب التقدم العلمي.

إلا أن الغاية من هذه المقالة تكشفها الخاتمة حيث يربط هذا الموضوع بقضية أخلاقية، فهو يرغب في السيطرة على الزمان باعتباره أداة تمكنه من كشف الكذب، وهي فكرة طريفة ما كانت لتخطر على ذهن القارئ، الذي تفاجئه هذه الخاتمة:

"إن السيطرة على الزمن معناه الوصول إلى وسيلة يوضع بها ميزان الكذب والدجل والتهريج، وذلك لأن هذه كلها أمور لا بُدَّ من أن يفضح أمرها مع الزمن تأييدا لقول الشاعر:

ومهما تكن عند امرئ من خليقة وإن خالها تخفى على الناس تعلم

فكل كذاب وكل دجال وكل مهرج – وما أكثر هؤلاء في دنيا العرب - سيكشف عنه القناع بين إغماض العين وفتح العين. ولعل القارئ يدرك مثلي بمزيد من الألم والحسرة أن الوصول إلى هذا الهدف ما يزال بعيدا... ولكن: ماذا يمنع؟ إنها والله أمنية عذبة"[48]. أو كما في مقالته "في مدينة الموتى" التي يستهلها بمشهد التقطه عند زيارة قبر أحد أصدقائه صباح العيد، حيث آلاف البشر يقفون على قبور أحبابهم يناجونهم وكأنهم أحياء، ومن ثم يقدم التفسير العلمي لهذه الظاهرة، مؤكدا هذا التفسير بشواهد يستقيها من الأدب العربي القديم، لينتقل فجأة إلى عالم الأسطورة، وحكاية المصطبة في الخرافات البابلية:

"كان عندهم "مصطبة" لها خاصة سحرية؛ إذ إن الإنسان إذا جلس عليها استحال عليه أن يخفي شيئا مما يضمره، فكان الحكام يجلسون عليها من يتهمونه بالخيانة وغيرها...وبعض الحكماء يرى أن هذه المصطبة ليست خرافة وليس فيها أي سحر، وهي موجودة دوما وفي كل

آن!! إنها موجودة في كرسي الحكم فهذا الكرسي محك تستطيع أن تعرف فيه الجوهر من الناس والزائف منهم. إلا أن الثابت في أبحاث العلماء هو أن الإنسان لا يستطيع في موقف واحد أن يلبس قناع الرياء، وذلك الموقف هو الذي يسيطر فيه الجلال والهيبة على كل رجل أمام الموت! فأمام الموت وحده يذوب الدجل والكذب والفجور"[49].

حتى إذا ما وصل خاتمة المقال انتقل إلى نقد محترفي السياسة والمنافقين لتضيء النص كله، إذ يقول:

"هؤلاء يتخفون بأقنعة الرياء والكذب على الله والناس، وليس بالإمكان أن نأتيهم بالمصطبة السحرية البابلية. كما أنه ليس في وسعي ووسعك أن نجعلهم على الكراسي الساحرة، لنبين للناس الزائف منهم، ولا نستطيع إلا شيئا واحدا: هذا الشيء أن نحبب إليهم الذهاب إلى مدينة الموتى"[50].

سمات المقالة عند "أبو غنيمة":

يقف "أبو غنيمة" في طليعة كتاب المقالة، ليس في الأردن حسب، بل في المنطقة العربية، "فمقالاته تبين عن أسلوب متميز في الكتابة، أسلوب يجمع بين العمق الفكري والسعة المعرفية، والبناء الفني الرفيع الذي يجعل القارئ مشدودا إلى النص بما يجتمع فيه من عناصر الجذب والتشويق: العنونة، والمادة غير المألوفة، والفكاهة والسخرية السوداء"[51]. كما تُظهر جرأة في تناولها قضايا معقدة وإشكالية؛ من مثل حرية الرأي، وعقلانية التفكير، ورفض الاستبداد، والإعلاء من القيم الوطنية والأخلاقية، وضرورة التجديد والتطور، حيث يسيطر عليه هاجس النقد والمقارنة بين الشرق والغرب. ولعل من أبرز سمات المقالة عند "أبو غنيمة" ما اتصفت به كتاباته من مطابقة للواقع، وسبر مشاكل أمته الاجتماعية والسياسية. على الرغم من جدية هذه المقالات إلا أنها لم تخل من الطرافة والسخرية التي تعري هذا الواقع، وتفضح عواره.

1- مطابقة الواقع:

تكتسب هذه المقالات قيمتها من خلال صدقها وارتباطها بواقع المتلقي، وملامستها لهمومه وأوجاعه،" فالخطاب الذي له مضمون مطابق للواقع، ويستعرض مشكلاته استعراضا دقيقا، ويشخص أمراضه بدقة، ويضع الحلول الناجحة بأمانة، خطاب صادق. وعلى النقيض من ذلك، فإن كل خطاب لا يطابق الواقع ولا يشخص أمراضه، ولا يعمل على حل مشكلاته، خطاب ليس له مضمون صادق"[52] وقد استطاع الكاتب معاينة واقعه بدقة، متأملا في كثير من مشاكله، وموظفا المشاهد اليومية البسيطة في خدمة قضايا أخلاقية واجتماعية وسياسية، هي في غاية الخطورة.

وهو في سبيل ذلك يميل إلى استخدام أسلوب الحكاية بعيدا عن التلقين إلا فيما ندر، فغالبا ما يضمن مقالته قصة تبسط الموضوع وتوضحه.

2- السخرية:

تعد السمة الأكثر إثارة في أسلوب "أبو غنيمة" هي قدرته على إثارة ضحك القارئ من خلال السخرية التي تعد عنصرا مهما للجذب والتشويق، وهو إذ يفعل ذلك لا يضحكه لمجرد الضحك، ولكنه يوظفها بوصفها خطة لإقناع المتلقي بمقاصده، بحيث تصبح "السخرية إستراتيجية خِطابية حجاجية وأسلوبية تترنح بين لغة مضاعَفة ونظرة ماكرة هازلة جادة توحي بالحقيقة، وتنتصر لها."[53] وهو ما يسمى بالسخرية السوداء، التي تعدّ أحد فنون الكتابة التي تحتاج إلى مهارات استثنائية في توظيف السخرية بنوعيها: اللفظي والموقفي لخدمة القضايا الإنسانية والاجتماعية والسياسية. وقد ظهر هذا النوع من الكتابة الساخرة مع صدور صحيفة "The Tatler" عام 1709م، حين "نوه محررها رتشارد ستيل، وصديقه جوزف أديسون بغاية المجلة الإصلاحية، وبأنهما إنما وقفا قلميهما على خدمة المجتمع، ومكافحة الآفات الضارة، والخرافات الشائعة بين الناس، وكانت موضوعات الصحيفة مستمدة من الأحداث اليومية ومن التطورات الاجتماعية، فكان أديسون يعرض مقالته عرضا يضج بالسخرية والنقد اللاذع بقصد إصلاح ما فسد، وتقويم ما اعوج من أخلاق الناس"[54] وهو ما جعل السخرية سمة واضحة في كتابة المقالة الحديثة إن لم تكن شرطا أساسيا باعتبارها سلاحا ذا حدين، يجمع بين المتعة والفائدة. ووسيلة مقاومة علنية تعبر عن حالة من الرفض لواقع مغلوط ولاأخلاقي، يتم بها الدفاع عن الذات الإنسانية وما يقع عليها من ظلم وقهر، وهي بهذا المعنى لا تثير الضحك لمجرد الضحك "السخرية لا تعني مجرد الاستهزاء والانتقاص من اللامرغوب فيه والمبتذل. إنها بديل أخلاقي وأيديولوجي للأخلاقي الرديء. فهي تقدم الزمان والمكان البديلين للزمن والفضاء الموبوئين، لأنها وعي انتقادي أو انتقاد واع لا يصالح"[55].

والناظر في مقالات "أبو غنيمة" يلمس هذا الحس الإصلاحي الذي كان يسيطر عليه، وانشغاله بقضايا أمته الفكرية والاجتماعية والسياسية في أشد مراحلها حرجا وحساسية، وهو ما يتطلب مزيدا من الحنكة والذكاء في عرض واقع مهترئ، يضج بالمفاسد والمعايب جاعلا من هذه العيوب والمفاسد مادة لمقالته الصحفية، فتجده يرويها في قالب ساخر، خالقا من حالة التناقض بين الواقع التراجيدي والطريقة الساخرة التي ينقل بها هذا الواقع الكثير من الأسئلة المحيرة والمربكة لدى القارئ. هذا الاهتمام الإنساني بمصالح الأمة أكسب مقالاته بعدا إنسانيا وأخلاقيا كان سببا وراء نجاح مقالاته الساخرة؛ إذ خرجت عن الهم الذاتي إلى الهم الجمعي، و"في مثل هذه الأعمال يؤدي الاستهزاء رسالة قومية وإنسانية، لأنه يخرج عن كونه تعبيرا عن سخط

الإنسان لإنسان آخر وكراهيته له، إلى كونه تعبيرا عن القيم القومية والإنسانية. يخرج عن كونه نقمة إلى كونه توجيها مهما بلغت حدته"[56].

والسخرية عند "أبو غنيمة" تتشكل من خلال اللغة واللفظ، أومن خلال الحادثة والموقف.

1: السخرية اللفظية:

"إن السخرية اللفظية في الأساس سخرية لعبّية تسخر من المعنى بعبثها بالأصوات وعلامات الترقيم والتكرار وآلية القلب الدلالي وتحريف ترتيب الكلمات والحروف كما تعارفها الناس. وهي بهذا تفصح إلى حد ما عن عدوانية مبررة من طرف المبدع اتجاه فاشية اللغة. كما تضمر نزعة تدميرية عند المبدع عله يرد الاعتبار لنفسه من خلال إنتاج متواليات لسانية جديدة..."[57] وأحيانا يوظف الكاتب اللفظة المفردة في إثارة معان هي في غاية العمق والحساسية، ويظهر هذا الملمح في إحدى المقالات الموسومة بـ"الدهر ثخيف" ويقصد بثخيف سخيف، وقد اقتبسها الكاتب من كلمة ألقاها الأديب إسعاف النشاشيبي في حفل تأبين الحسين عام 1931 الذي دعي إليه كبار الشخصيات العربية، وكان النشاشيبي يلثغ بالسين، وكانت الخمر قد لعبت برأسه، فلما قام يلقي كلمته قوبل بالتصفيق الاعتيادي، ثم لم يزد على أن قال: "الدهر ثخيف" وسكت برهة ثم أعادها الثانية وهو يترنح وكاد يسقط، وبدأت الأصوات تتعالى تطالب بإنزاله شفقة عليه، لكنه أسكت الجميع حين أطلقها بصوت قوي كالرعد "الدهر ثخيف" لينطلق من بعد بفكرته التي جاء بها من تاريخ الأمة العربية:

"هذه الأمة التي هي خير أمة أخرجت للناس- أمة قارعت الخطوب والأهوال وصارعت الكوارث والأخطار وفي مرات ومرات ضعفت وهزلت وتفشى فيها ما يتفشى في الأمم البائدة من ملق ودجل وتهريج حتى ليكاد اليأس يستولي على نفوس العقلاء من أبنائها، ولكنها في كل مرة وفي كل كارثة مهدت لليأس وقطع الرجاء، كان يطل على الأمة وجه البطل المنقذ، فإذا بالشمس تشرق، وإذا بالنفوس تتفتح، وإذا بالنصر المبين يحققه الله على يد أحد المخلصين من "محمد" إلى صلاح الدين " إلى.. إلى الحسين...أيها الدهر الذي يحاول إذلال أمة محمد...أنت ثخيف!".

تبدو سخرية هذه الكلمة بوصفها جاءت ملحونة ضعيفة، ونطقها بتلك الطريقة يثير الضحك ولكنها في الوقت نفسه جاءت منتقدة ومحتجة على أكبر قوى الطبيعة وأكثرها جدية، وهو الدهر، هذا التناقض بين حالة الضعف والقوة من شأنه أن يزعزع أشد الثوابت لدى المتلقي، ويدفعه إلى محاولة إعادة ترتيب أفكاره بالمسلمات "لا محرّمات أمام السخرية السوداء، سواء أكانت دينية أو اجتماعية أو سياسية... لكنها في كسرها التابوهات لا تتخلى عن الهزء لئلا تتحول إلى فعل إنهاك أو سحق في المعنى المجازي"[58].

وفي أحيان أخرى تأتي اللغة العامية البسيطة التي يتلفظ بها التنبكجي "أبو سعيد" في مقالة "فن الملقط" مؤسسة لعالم جديد أكثر صدقا وشفافية من عالمِ مُدَّعي الحكمة والثقافة، حيث يبدي الكاتب إعجابه بـ "ابو سعيد" ويورد شعره العامي:

"يا صاحبي لو قلت أنا عبد...إلك

لا تبيعني تخلي العواذل تشتفي

وإن قلت لك تقبر عامي يا قمر

ما هو حلال تحمل قوام المجرفة"[59]

هذه اللغة البسيطة لم تمنع الكاتب من وصفه بالشاعر والحكيم الذي تلتقط منه الحكمة:

"بيك كار الملقط كار...مو حيا الله... وتمعنت في قول أبي سعيد فبدا لي أنّه صادق وأن هذا... الكار... مو حي الله... وكل منا بحاجة إلى إتقان فن الملقط: الحاكم ليعرف كيف يلتقط المنافقين فيرمي بهم وبدسائسهم إلى الخارج، المثقف، ليعرف كيف يلتقط موضوعاته وكتبه. الاجتماعي، ليحسن انتخاب أصدقائه ومعارفه وخلصائه. وحتى القارئ بحاجة إلى فن الملقط ليعرف كيف يميز الكاتب المؤمن...من الخبيث التافه... و... الزفت"[60].

هذا الانتقال من الفصحى إلى العامية، يعري زيف الواقع المعيش، ويحتج على حالة النفاق التي تعيشها طبقة المثقفين في المجتمع. كما يعمل على توسيع الدلالة على نحو فيه تعميق لأبعاد استعمالها، بعيدا عن دلالتها العامية الساذجة، المرتبطة بمهنة صاحب المقهى.

- سخرية الموقف:

تتأسس سخرية الموقف على مفارقات الأحداث والوقائع وتنافر عنصرين سياقيين وتعارض فعلين متلازمين"[61] وكثيرا ما تؤسس مقالة "أبو غنيمة" على المفارقة المضحكة المبكية؛ وهو يفعل ذلك في لغة تهكمية تدفع القارئ إلى الضحك المرير الذي يدعو إلى التأمل. والعمل على إعادة النظر في ما هو متوقع ومألوف، وتغريه برفض هذا الواقع ومقاومته. في مقالته "دنيا فيتيناو" يكتب لنا عن مدينة "فيتيناو" القريبة من برلين، حيث يعيش فيها المجانين الذين انسحبوا من دنيا الناس إلى دنيا الأعماق في نفوسهم، فكل ما يفعلونه ويقولونه من وحي الأعماق وتفكيرها دون أي مانع أو قيد على أقوالهم وأفعالهم، وهو ما يضمن لهم السعادة التي تقربهم من الشفاء على الرغم مما هم فيه من شقاء. وهم في ذلك يشبهون الشعراء الذين يحق لهم ما لا يحق لغيرهم؛ فتجدهم يخاطبون الحجر والشجر دون أن ينكر أحد عليهم تلك الهلوسات، فتجد الحزين يرثي الطلل، ويتوسل الأثافي، ويحادث البرق، وعلى الرغم مما هم فيه من حزن لكنهم في

هلوستهم تلك تراهم أسعد السعداء. حتى اللحظة تبدو المقالة طريفة لا تعدو أن تكون عرضا لحالات يتسامى فيها الإنسان على الألم محققا سعادته، إلا أنه سرعان ما تتجلى المفارقة في حديثه عن دنيا العقلاء حيث لا يسمح للعاقل أن يتحدث إلى الحجر أو الشجر، ولا يستطيع الفرار من دنيا الناس إلى دنيا الأعماق، ولا يتمكن من إفراغ مشاعره وعواطفه كما يشاء بما يشاء فالعيب والحرام واللياقة تمنعه من كل هذا، فيكون بين أمرين: إما الكذب أو الرياء، وإمّا أن يدفع الثمن من أعصابه وقلبه، وهو ما اختبره بنفسه حين أراد أن يروح عن نفسه بالاستماع إلى المذياع، فسمع من النفاق والدجل والتهريج ما زاد صدره ضيقا واكتئابا، وكاد أن يقوم فيفرغ غيظه وغليله في مقالة الجمعة، لولا – عيب- وأخواتها، ومراعاة حق العروبة والجوار، وكان بين أمرين كما يقول:

"إما أن أخادع نفسي فأكذب عليها، وهذا ما لم أفعله، وإما أن أضغط على قلبي فأقول– أيها الحزن في فؤادي اسكت- وهذا ما حدث بالفعل! من هنا ندرك، لماذا يتمنى بعض الناس أن يعيش ولو للحظات في...دنيا فيتيناو"[62].

فالمفارقة في"دنيا فيتيناو" ضحيتها هو الإنسان العاقل، "وهي بما هي كذلك فلا مندوحة من أن يكون أثرها مزيجا من الألم والتسلية يعقبه تحديد الموقف من الأشياء"[63] حيث يعقد الكاتب هذه المقارنة بين عالم المجانين الذي ينظر إليه العقلاء بشفقة واستخفاف، حيث يطلق المجانين فيه العنان لمشاعرهم وانفعالاتهم مخترقين كل التابوهات، ودون أدنى التفات للآخر، وعالم العقلاء الذي يضطر فيه المرء أن يكبت مشاعره وأحاسيسه مراعاة للتابوهات، والذوق العام. ومن خلال هذه المقارنة نجد أن العقلاء يشقون بعقولهم، والمجانين في جنونهم يسعدون.

وفي مقالة "عبد الغني في القمر" يروي الكاتب حكايته مع طلبته الذين طلب منهم كتابة موضوع حر، فإذا بأحدهم "عبد الغني" يكتب عن رغبته في الهجرة إلى القمر، وهو ما أثار ضحك زملائه، وحين سأله كيف سيتمكن من العيش وحده هناك أجابه: "بدبر حالي"، وكأنه وجد في القمر ملاذه الوحيد الذي سينقذه من شرور الأرض وفسادها. وصار كلما سأل الأستاذ طلابه أين عبد الغني؟ أجأبوه هو في القمر. وتدور الأيام ويتولى عبد الغني وظيفة جيدة، وصار كلما لقي الأستاذ طالبه يسأله ممازحا: كيف أحوالكم هناك؟" فيجيبه عبد الغني: "ننتظر تشريفكم، فأشكره على دعوته".

هذه الحكاية الطريفة ما هي في حقيقتها إلا تعبير عن رغبة الكاتب في استبدال عالمه الفاسد بآخر مثالي، وهي فكرة تتكرر مع الكاتب في مقالة "إنسان الأسبرين" التي يتحدث فيها عن هذا العالم المريض، وخطر المرض الذي ينتاب إنسانه القلق، ويقدم في سبيل ذلك عدة حوادث يقارن فيها بين إنسان الماضي الذي يملك أعصابه ويظل سيدها في المواقف الصعبة، وإنسان الحاضر

الذي كثيرا ما يفقد السيطرة على نفسه في المواقف الصعبة. ويضرب لذلك مثلا بقوى العالم المسيطرة، ويشبهها برجل يحمل في إحدى يديه شعاراته التي يؤمن بها ويدعو الناس للإيمان بها، وفي اليد الأخرى يحمل كل وسائل الدمار والفناء يهدد بها كل من لا يقبل بشعاراته، ومن ثم يزعم أنه إنما يفعل ذلك حبا بالإنسانية والخير. وتأتي الخاتمة ليطلعنا على الخبر التالي:

"في طوكيو قام المدعو "أبشي ساكاي" بتأليف حكومة عالمية مؤقتة من عشرين عضوا هدفها مفاوضة حكومتي المريخ وزهرة باسم حكومة الأرض، وفي المؤتمر الصحفي الذي عقده في طوكيو وتناقلت أخباره صحف العالم دعا الحكومات إلى الاشتراك معه في هذا.."[64].

ولا يجد "أبو غنيمة" في الأمر، على الرغم من غرابته، ما يضحك أو يدعو إلى السخرية، كما أنه لا يستبعد وقوعه مستقبلا، ويتعامل مع الحكاية بمنتهى الجدية، ولكن المفارقة تكمن في قوله: "ولكن الذي استبعده هو أن يسمح لرجل من عالم موبوء بالدخول إلى عالم سليم...إنني لا أستبعد أن يقرأ صاحبنا ورفاقه في طريقهم إلى عالم الكواكب على الحزام اللازوردي الفاصل بين السماء والأرض هذه الكلمات بأحرف من نور:

يمنع من الدخول إلى عالمنا النظيف: هذا المحترم... ابشي ساكاي"[65]

ومن المفارقات أن من شخوص مقالاته الذين يصفهم بالحكمة وسداد الرأي هم من طبقة المهمشين وهي شخصيات بائسة، مشوهة، لا يلتفت إليها، أمثال "أبو سعيد التنبكجي"، والبويجي أديب، و"أبو جاسم الجليلاتي" ويبدو هؤلاء في مقالات " أبو غنيمة" مصدر الحكمة المنشودة، وهو إعلان صريح من الكاتب عن حالة الانحطاط والتأزم في مناحي الحياة عامة. في مقالته " فن الملقط" يتوقف عند هذه القضية قائلا:

"فالحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها التقطها" وكل إنسان يفوقني بشيء يجب أن أتعلمه منه"[66] وكرد صارخ على حالة التردي والانحطاط يروي لنا في مقالته"رأيتهم فلم أنسهم "حكاية "أبو جاسم الجليلاتي" الذي يفخر بأنه أقدر من صنع برذعة، وهو حين يصفه يقدمه باعتباره أحد الأشخاص الذين لم ينسهم على الرغم من قبح صورته، وبساطة مهنته، فيقدمه بوصفه فيلسوفا لا يشق له غبار:

"فأبو جاسم أحول أعرج وقبيح الصورة حقا، غير أنه إلى جانب هذا فيلسوف، وفلسفته من النوع المقبول والساحر أحيانا، فكل شيء له عنده قصة، وكل قصة فيها درس، والقصة والدرس يلفهما دوما بقالب ظريف وفكه"[67].

"أثقل عليه أحدهم – وهو يحمل لقب باشا- وسأله: "أبو جاسم دخلك شو قصة اللبطة على فكك وشو درسها؟ فأجابه في الحال قصتي قصة، يا سيد كان لي صاحب عزيز مثل فضلك،

وله حمار، أوصاني على طقم له فأكملته بكل اعتناء ولما جاء القياس حرن... معلومك الحمار حمار ولو صار مستشار، فكنت أدور للشمال، يدور لليمين، أدور لليمين يدور للشمال حتى نرفزت ونخشته وقلت له: حمار، وإذا به يلبطني... ومن يومها توبة، صرت إذا أردت معاملة الحمار، لا أثيره ولا أهيجه ولا أقول له يا حمار، وإنما أدلله وأناديه: يا باشا.."[68].

هذه المقابلة الطريفة بين الجليلاتي صانع البرذعة، بما يتمتع به من خفة ظل وحدة في الذكاء، والباشا صاحب الظل الثقيل، والفهم البليد، تكشف هزالة الألقاب، وزيف هذا المجتمع الذي يضطر معه الحكيم إلى المداهنة والمداراة طلبا للسلامة، والنجاة من الأذى.

أما البويجي "أديب"، فهو فتى صغير من الجبل يمسح الأحذية وكان ملهمه في مقالة يتحدث فيها عن لصوص المجد: "لقد كانت الفرشاة ترقص بين يديه وهو يقذفها من يد إلى يد، وهو في كل هذا يبتسم ويدمدم، ويشعرك بأنه مملوء بهجة ونشاطا وحيوية، وقال لي إنه يحصل على ليرتين أو ثلاث في النهار وهو ممتن لهذا، واسترعى انتباهي مرة أخرى عندما قال:... والمهنة شرف يا أستاذ... موضوع المهنة الذي يتحدث عنه هذا الصغير كفيلسوف، تحدث عنه قبل أيام قليلة صديقي"[69].

والمفارقة في هذه المقالة أنها تعتمد التضاد الصارخ بين شخصية صبي صغير في مقتبل العمر، يعيش على عتبة الحياة، معتمدا على إخلاصه وإتقان مهنته في تلميع أحذية المارة، وبين أولئك الكبار الذين يسرقون المجد سرقة، ويتشدقون بالوطن والوطنية ليل نهار، دون أن يكون لهم أدنى فضل. وهي مقابلة مؤلمة تثير في القارئ الكثير من الأسئلة التي تحتاج إلى حلول إصلاحية جذرية.

إن تعرية الواقع، وكشف سوءته من خلال الكتابة، عملية صعبة تحتاج إلى تجميل هذا الفعل من خلال الطرفة والحكاية القائمة على المفارقة الساخرة، وهو ما يضمن قبول فعل التعرية عند المتلقي. ولا شك أن تمكن "أبو غنيمة" في هذا النوع من الكتابة هو الذي ضمن لمقالاته النجاح، إذ يجد القارئ نفسه في كل أسبوع على موعد مع المعلومة العلمية والطرفة السياسية والفكرة الفلسفية واللمسة الأدبية، وذلك في لغة جمعت بين العلو والسلاسة، وبين العمق والوضوح.

Mohammad Subhi Abu-Ghaneimeh and the Art of Essay

Ahlam Masad, *Langauge Center,Yarmouk University,Irbid, Jordan.*

Abstract

This research aims at studying the art of essay writing in the works of Mohammad Subhi Abu Ghaneimeh. The study reveals the cultural and intellectual contexts that shape his essays. Moreover, this study shows the characteristics and aesthetic and objective dimensions of Abu Ghaneimeh's essays. While considering the techniques Abu Ghaneimeh used to construct and develop his writing style, the researcher finds out that Abu Ghaneimeh is committed to a fixed plan when writing his essays. The research mainly focuses on the most important objective and technical features that have characterized these essays. Abu Ghaneimeh's book, *Of these Days*, which includes forty two articles, will be the particular focus of this study. The researcher will follow the descriptive and analytical approach when reading and analyzing these essays.

الهوامش

1 انظر زياد الزعبي: عشيات وادي اليابس ص 27-29، ومقدمة أبو غنيمة لكتاب "عرار شاعر الأردن" للبدوي الملثم ص 20- 25. وقد وردت في كتاب سيرة منفية، ومعجم أدباء الأردن معلومات مغلوطة حول المدة التي قضاها في مكتب عنبر، وحول مراحل تعليمه.

2 انظر جريدة الأردن، 21/ مارس/ 1931، الصفحة الأولى خبر افتتاح مستوصف الدكتور أبو غنيمة.

3 انظر هدى أبو غنيمة: سيرة منفية، ج1، ص 58.

4 سيرة منفية: ص ص 18،19.

5 صبحي أبو غنيمة: من الأيام، ص 9.

6 انظر سيرة منفية، الفهرس أ- وفي نهاية الجزء الأول الذي يتضمن 142 مقالة منشورة في صحف مختلفة.

7 سيرة منفية: ج1، ص 42.

8 نظرة في أعماق الإنسان، ص154

9 نظرة في أعماق الإنسان، ص75.

10 انظر قائمة المصادر في كتابه نظرة في أعماق الإنسان.

11 سيرة منفية: ص17

12 هاشم ياغي: القصة القصيرة في فلسطين والأردن، ص141.وانظر نبيل حداد: صبحي أبو غنيمة وأغاني الليل، مجلة أفكار، ع 164،2002، ص 63، 71. ومحمد أبو صوفة: في أغاني الليل محمد صبحي أبو غنيمة، المجلة الثقافية، ع 14-15-1988، ص 404-408.وقد أعادت وزارة الثقافة طباعة هذه المجموعة القصصية عام 1990.

13 انظر زياد الزعبي: قراءات– مقالات ونصوص، ص134.

14 هدى أبو غنيمة: سيرة منفية، ص39.

15 زياد الزعبي: قراءات مقالات ونصوص، ص 133.

16 هدى أبو غنيمة: سيرة منفية، ص330.

https://en.wikipedia.org/wiki/Essay17

18 محمد يوسف نجم: فن المقالة، ص 118.

19 أبو غنيمة: من الأيام، ص 11.

20 المرجع السابق: ص11.

21 المرجع السابق: ص 12.

22 محمد نجم: فن المقالة، ص107.

23 أبو غنيمة: من الأيام، ص 56، 57.

24 المرجع السابق: من الأيام، ص14.

25 أبو غنيمة: من الأيام، ص17.

26 محمد نجم: فن المقالة، ص 117.

27 أبو غنيمة: من الأيام، ص 86.

28 المرجع السابق: ص89.

29 أبو غنيمة: من الأيام، ص 222.

30 المرجع السابق، ص 224،225.

31 المرجع السابق، ص 224،225.

32 أبو غنيمة: من الأيام، ص35.

33 محمد نجم: فن المقالة، ص 120.

34 عبد الفتاح عبد النبي: تكنولوجيا الاتصال والثقافة – بين النظرية والتطبيق- ص25.

35 محمد فكري الجزار: العنوان وسيموطيقا الاتصال الأدبي، ص19. وانظر كتاب بسام قطوس: سيمياء العنوان، ص 50، ص53.

36 أبو غنيمة: من الأيام، ص 174.

37 بلعابد: عتبات جيرار، ص 85

38 أبو غنيمة: من الأيام، ص68.

39 أبو غنيمة: من الأيام، ص 68.

40 المرجع السابق: ص 70.

41 المرجع السابق: ص58.

42 أبو غنيمة: من الأيام، ص61.

43 المرجع السابق: من الأيام، ص91.

44 المرجع السابق، ص91.

45 أبو غنيمة: من الأيام، ص94.

46 هكذا وردت في النص، والصحيح قوله تعالى: "ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم".

47 أبو غنيمة: من الأيام، ص 49، 50.

48 أبو غنيمة: من الأيام، ص26.

49 المرجع السابق، ص79.

50 أبو غنيمة: من الأيام، ص80.

51 زياد الزعبي: محمد صبحي الريادة المقصاة، صحيفة الرأي، 11/أيلول/ 2015، ص22.

52 سمير استيتية، اللغة وسيكولوجية الخطاب، ص36.

53الولي، محمد: "بلاغة الحجاج"، علامات، ع5 س 1996.ص 77.

54 محمد يوسف نجم: فن المقالة، ص، ص 51،52.

55 عبد النبي ذاكر: السخرية والحجاج http://www.minculture.gov

56 سمير استيتية: اللغة وسيكولوجية الخطاب، بين البلاغة والرسم الساخر، ص84.

57 محمد رمصيص: شعرية السخرية http://www.alittihad.press.ma/

58 عبده وازن: السخرية السوداء، مجلة الدوحة، ع70، اغسطس 2013.

59 أبو غنيمة: من الأيام، ص59.

60 أبو غنيمة: من الأيام، ص61.

61 محمد رمصيص: شعرية السخرية http://www.alittihad.press.ma

62 أبو غنيمة: من الأيام، ص104.

63 د.سي.ميويك: المفارقة وصفاتها، ص19.

64 أبو غنيمة: من الأيام، ص75.

65 أبو غنيمة: ص75.

66 المرجع السابق: من الأيام، ص58.

67 المرجع السابق: ص166.

68 أبو غنيمة: ص 168.

69 المرجع السابق: من الأيام، ص212.

ثبت المصادر والدوريات

أبو صوفة محمد: في أغاني الليل محمد صبحي أبو غنيمة، المجلة الثقافية، ع 14-15-1988.

أبو غنيمة، محمد صبحي: من الأيام، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط2، 2003.

أبو غنيمة، محمد صبحي: نظرة في أعماق الإنسان، مطبعة الأديب فادي الصيداوي، دمشق، 1958.

أبو غنيمة، هدى: سيرة منفية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1،2001.

استيتية، سمير شريف: اللغة وسيكولوجية الخطاب، بين البلاغة والرسم الساخر،المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 2002.

بلعابد، عبد الحق: عتبات جيرارجينيت – من النص إلى المناص، الدار العربية للعلوم - ناشرون، منشورات الاختلاف.

الجزار، محمد فكري:العنوان وسيموطيقا الاتصال الأدبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب،1998.

حداد، نبيل: صبحي أبو غنيمة وأغاني الليل، مجلة أفكار، ع 164، 2002.

الزعبي، زياد: قراءات مقالات ونصوص ثقافية، وزارة الثقافة، عمان، 2002.

الزعبي، زياد: محمد صبحي الريادة المقصاة، صحيفة الرأي، 11/أيلول/ 2015.

الزعبي، زياد: مقدمة عشيات وادي اليابس، ديوان مصطفى وهبي التل (عرار)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، بيروت 1998.

عبد النبي، عبد الفتاح: تكنولوجيا الاتصال والثقافة – بين النظرية والتطبيق، العربي للنشر،1990.

العودات، يعقوب، البدوي الملثم: عرار شاعر الأردن، عمان، 1958.

قطوس، بسام: سيمياء العنوان، وزارة الثقافة، عمان، ط1، 2001.

محمد، لولي: "بلاغة الحجاج"، علامات، ع5، س 1996.

ميويك، د.سي: المفارقة وصفاتها، ترجمة: عبد الواحد لؤلؤة، دار المأمون، بغداد 1977.

نجم، محمد يوسف: فن المقالة، دار الثقافة، بيروت،1966.

ياغي، هاشم: القصة القصيرة في فلسطين والأردن1850 –1965 ، جامعة الدول العربية، معهد البحوث والدراسات العربية، 1966.

مواقع إلكترونية:

1- ذاكر، عبد النبي: السخرية والحجاج http://www.minculture.gov /

2- رمصيص، محمد:شعرية السخرية http://www.alittihad.press.ma/

3- https://en.wikipedia.org/wiki/Essay

4- وازن، عبدة: السخرية السوداء: http://www.aldohamagazine.com